الدور السياسي والحضاري والعسكري للسيد أبي حفص عمر الموحدي في بلاد المغرب والأندلس 548-575هـ/ 1153- 1180م

*محمد عطاالله الخليفات**

ملخص

تبحث هذه الدراسة في سيرة واحد من أبرز قيادات الدولة الموحدية في طور النشأة والتأسيس، هو السيد أبو حفص عمر بن عبد المؤمن، ابن أول خلفاء الدولة الموحدية، الذي قضى معظم حياته في خدمة الدولة وتثبيت أركانها. فتناولت بدايةً سيرته الذاتية من حيث اسمه ونسبه وكنيته ومولده ونشأته وتعليمه ووفاته، ثم عالجت دوره الإداري والسياسي ببلاد المغرب والأندلس، كذلك بينت دوره العسكري سواء في القضاء على ثورات الخارجين على سلطان الموحدين في المغرب والأندلس، أو قيادة حركة الجهاد والغزو ضد الممالك النصرانية في الأندلس. وانتهت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمّها: أن السيد أبا حفص عمر لعب دوراً فاعلاً في خلع أخيه الأكبر محمد من الخلافة، والأخذ بالبيعة لأخيه الشقيق من أمه أبي يعقوب يوسف، كما أنه امتاز بتملكه شخصية إدارية وسياسية وعسكرية ناجحة، بدليل توليه العديد من المناصب العليا في الدولة مثل منصب الوزارة ومنصب نائب الخليفة، وقيادته للجيوش الموحدية في العديد من المعارك.

الكلمات الدالة : أبو حفص عمر، الموحدين، بلاد المغرب، الأندلس.

المقدمة

أنجبت الدولة الموحدية (541-668هـ/ 1147-1269م) العديد من الشخصيات القيادية التي وإن لم يكتب لبعضها أن تصل إلى سدة الحكم، إلا أنها ساهمت بدور فاعل في توطيد نفوذ الموحدين وتثبيت أركان دولتهم ببلاد المغرب والأندلس، ولعل من أبرز هذه الشخصيات السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الذي تمتع بشخصية قوية، وتحلى بمواهب عديدة، جعلته يرتقي إلى مكانة عالية في الدولة، حتى وصل إلى المرتبة الثانية بعد الخليفة في عهد والده عبد المؤمن وعهد أخيه أبي يعقوب يوسف، فقد عهد إليه في بداية الأمر ولاية مدينة تلمسان، ثم سرعان ما ارتقى إلى منصب الوزارة، كما تولى منصب نائب الخليفة في الحضرة مراكش ليتصرف في مقاليد **الأمور** ويشرف على شؤون الدولة مستخدماً في ذلك حقه كممثل للخليفة في سلطانه، هذا إلى جانب مشاركته في تنظيم وقيادة الجيش الموحدي، سواء لمواجهة حركات التمرد الداخلية، أو جهاد الممالك النصرانية في الأندلس.

ويتجسد السبب الأساس في اختيارنا لشخصية السيد أبي حفص عمر موضوعاً للبحث، في تركيز معظم الدراسات التي تناولت التاريخ السياسي للدولة الموحدية، على تناول سيرة الخلفاء ونسب كل ما يحدث في عهدهم من إنجازات

* كلية معان الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن. تاريخ الاستلام: 2020/3/9، تاريخ القبول: 2020/9/3.

 ©2020م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

إليهم، متجاهلة دور من هم في الصف الثاني كشخصية السيد أبي حفص عمر الذي لمع نجمه في طور نشأة وتأسيس الدولة الموحدية، وكان له دور واضح في تثبيت أركانها، وإرساء دعائمها.

أولاً- سيرته الذاتية:

أ- اسمه ونسبه وكنيته:

هو عمر بن عبد المؤمن بن علي، ووالده عبد المؤمن[1] هو أول خلفاء الدولة الموحدية، استطاع في غضون سنوات بسيطة من تسلمه لقيادة الموحدين من القضاء على دولة المرابطين سنة 541هـ/ 1147م، وتوحيد سائر بلاد المغرب الإسلامي تحت حكمه.

وقد اختلف المؤرخون في نسبه، وذلك من خلال معرض حديثهم عن والده عبد المؤمن؛ فمنهم من يجعله عربي الأصل، ومنهم من يخلط نسبه بين العربي والبربري، ومنهم من يجعله بربرياً. فالبيذق المعاصر للسيد أبي حفص والمرافق لوالده عبد المؤمن، يورد لنا روايتين يؤكد من خلالهما نسبه العربي، إذ يربط نسبه في الأولى بآل البيت عن طريق الأدارسة، فيقول أن السيد أبا حفص هو عمر بن "عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا بن الحسن بن كنونه بنت إدريس بن إدريس.. بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب"[2]. وفي الثانية يجعله عربياً مضرياً عن طريق ربط نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم، فيقول إن الخليفة عبد المؤمن بن علي والد السيد أبي حفص هو "من ولد سليم بن منصور بن قيس بن مضر جد النبي – صلى الله عليه وسلم – لا شك في ذلك"[3]. ويتفق عبد الواحد المراكشي مع البيذق في عروبة ومضرية السيد أبي حفص ووالده عبد المؤمن، فيذكر أن عبد المؤمن بن علي كان ينفي نسبته لقبيلة كومية البربرية، وكان يقول إذا ذكرت كومية "لست منهم، وإنما نحن لقيس بن عيلان بن مضر بن نزار.. ولكومة علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم، وهم الأخوال"[4]. ويورد ابن القطان ما يؤيد رواية المراكشي، إذ ينفي النسب الكومي عن عبد المؤمن وينسبه لقبيلة قيس العربية، فيقول:"عبد المؤمن بن علي القيسي"[5].

ويبرر كل من البيذق والمراكشي انتساب عبد المؤمن وذريته من بعده إلى البربر، بأن أجداده كانوا في الأصل

---

(1) هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا القيسي الكومي، ولد في قرية تاجرا من أعمال مدينة تلمسان سنة 487هـ/ 1095م، وخلف ابن تومرت في قيادة الموحدين سنة 524هـ/ 1129م، وتوفي سنة 558هـ/ 1163م. انظر: البيذق، أبو بكر ابن علي الصنهاجي (ت 558/ 1163) (1971)؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، عبد الوهاب بن منصور (محقق)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص13؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان (ت 748/ 1374) (1996)؛ سير أعلام النبلاء، شعيب الأرنؤوط وآخرون (محقق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، ج20، ص366-375.

(2) البيذق، المقتبس، ص13.

(3) البيذق، المقتبس، ص14.

(4) المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت 647/ 1250) (2006)؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، صلاح الدين الهواري (محقق)، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، ص148.

(5) ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (ت 1231/628) (1990)؛ نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، محمود علي مكي (محقق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ص185.

سكان الجزيرة العربية ثم هاجروا إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وعندما اندلعت بعض الفتن في الأندلس نزح جدهم الأول إلى المغرب الأوسط، وهناك جاور بعض قبائل البربر واحتمى بهم، فنسبت ذريته إلى البربر بالجوار والحلف"[6].

ويخلط كل من ابن أبي زرع وصاحب الحلل الموشية وصاحب مفاخر البربر[7]، نسب السيد أبي حفص ما بين العربي والبربري، بل نجد أن ابن أبي زرع يميل في مستهل روايته عن نسب عبد المؤمن إلى القول بعروبته، ثم يتراجع عن هذا الرأي ويقول:"والذي ثبت من خبره انه رجل زناتي الأصل من كومية هنين"[8].

أما ابن خلدون فينكر نسب عبد المؤمن بن علي وذريته من بعده إلى مضر أو إلى آل البيت أو إلى العرب مطلقاً، مشيراً إلى أن آل عبد المؤمن بن علي ينتمون في الأصل إلى بني مجبر الذين هم بطن من قبيلة بني عابد إحدى قبائل كومية الزناتية البربرية، واصفاً رواية كل من يورد غير ذلك بأنها غير صحيحة ومصنوعة[9]. ولعل ابن أبي دينار يأخذ برأي ابن خلدون، إذ نجده يكتفي عند ذكر نسب عبد المؤمن بن علي بالقول أنه كومي زناتي[10].

وهكذا يتضح مما سبق أن هناك اختلافاً بين المؤرخين في صحة نسب السيد أبي حفص بن عبد المؤمن من حيث عروبته أو بربريته، غير أنه يظهر بالرغم من ذلك الاختلاف بين المؤرخين، أنهم يجمعون على أن السيد أبي حفص ينتمي إلى قبيلة كومية، إحدى قبائل البربر المصمودية، التي كانت تتواجد ببلاد المغرب الأوسط بالقرب من مدينة تلمسان[11]، الذين انتقل معظمهم في عهد والده الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى حاضرة الدولة مراكش[12] فاشتد بهم عضد الخلفاء[13]. وهذا ما يجعلنا نأخذ بالرأي القائل أنه بربري الأصل، خاصة وأن من حاول إثبات

(6) البيذق، المقتبس، ص14–15؛ المراكشي، المعجب، ص148.

(7) ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت 1341/741) (1972)؛ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، ص138؛ مؤلف مجهول (عاش في القرن 8هـ / 14م) (1979)؛ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، سهيل زكار وعبد القادر زمامة (محققان)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،، ط1، ص142؛ مؤلف مجهول (2005)؛ مفاخر البربر، عبد القادر بوباية (محقق)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ص199.

(8) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص183.

(9) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808/ 1406) (2000)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، خليل شحادة (محقق)، دار الفكر، بيروت، ج6، ص166.

(10) ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت 1110/ 1698) (1286هـ)؛ المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، ص110.

(11) تلمسان: مدينة بالمغرب، وهي في الأصل مدينتان يفصل بينهما سور، إحداهما قديمة تسمى أقادير، والحديثة تسمى تافرزت، تبعد عن مدينة وهران قرابة 170 كم. انظر: الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبدالله البغدادي (626/ 1228) (1979)؛ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج2، ص44.

(12) مراكش: مدينة بالمغرب الأقصى، بناها يوسف بن تاشفين سنة 470هـ/ 1077م، تبعد عن مدينة أغمات 12 ميلًا. انظر: الإدريسي، عبدالله بن محمد الحسيني (ت560/ 1164) (1863)؛ المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، ص67.

(13) ابن القاضي، أحمد بن محمد بن محمد المكناسي (ت 1025/ 1616) (1973)؛ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من

النسب العربي لآل عبد المؤمن بن علي هم مؤرخو دولة الموحدين الأوائل والمعاصرين لها (البيذق، وابن القطان، والمراكشي)، ولعل سعيهم لإثبات النسب العربي لآل عبد المؤمن، بل وجعلهم أحياناً من سليل آل البيت، جاء في محاولة منهم لتأكيد أحقية عبد المؤمن بن علي وذريته من بعده في خلافة المهدي[14] وتولي حكم الموحدين، وهذا ما حدث مع المهدي نفسه مؤسس الدعوة الموحدية؛ إذ أحاط نفسه بهالة من الأساطير لتؤكد نسبه العربي المتصل بآل البيت، وقدسية وصدق رسالته، وهذا ما يؤكده المراكشي بقوله:" وهكذا أدركت من أدركت من أولاده (يقصد عبد المؤمن بن علي) وأولاد أولاده ينتسبون لقيس عيلان بن مضر، وبهذا استجاز الخطباء أن يقولوا إذا ذكروه بعد ابن تومرت: قسيمه رضي الله عنه في النسب الكريم"[15].

أما عن أمه فهي امرأة حرة اسمها صفية [16]وقيل زينب[17] وقيل عائشة[18] بنت أبي عمران موسى بن سليمان الضرير، وموسى هذا هو من شيوخ أهل تينملل[19] وأعيانهم، كان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج عنها، وكانت مصاهرته إياه أيام كان عبد المؤمن في تينملل قبل قيام الدولة الموحدية، بمشورة ورأي من سيده المهدي محمد بن تومرت. ولم يكن للسيد عمر من الأشقاء من أمه إلا أخ واحد أصغر منه سناً، هو أبو يعقوب يوسف الذي تسلم الخلافة عقب وفاة والدهم سنة 558هـ/ 1163م[20].

أما عن كنيته: فهو أبو حفص، ولقب بالسيد؛ وهذا اللقب لم يقتصر عليه، بل أطلق على سائر بنو عبد المؤمن بن علي، فكانوا حتى زوال دولتهم يسمون أبناءهم بالسادة، ويذكر ابن صاحب الصلاة أنه تلقب أيضاً بـ "السيد الأعلى"، وذلك منذ أن تقلد الوزارة في عهد والده سنة 555هـ/ 1160م[21]، ولعل ذلك تمييزاً له عن سائر أخوته لعلو المنصب الذي أصبح يشغله.

الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، جـ2، ص446.

(14) هو محمد بن عبدالله بن تومرت، من قبيلة هرغة البربرية إحدى قبائل المصامدة، ولد في قرية ايجلي سنة 471هـ / 1079م، وكان رجلًا زاهدًا، كثير العبادة والأسفار، لا يصبر عن النهي عن المنكر، وكان حصورًا لا يأتي النساء، وإليه يعود الفضل في تأسيس الدعوة الموحدية، توفي سنة 524هـ/ 1121م، ودفن في منزله في تينملل. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ19، ص539–552؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر (ت 681/ 1282) (د.ت)؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،إحسان عباس (محقق)، دار صار، بيروت، جـ5، ص45–55.

(15) المراكشي، المعجب، ص148.

(16) البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي (558/ 1163) (1971)؛ أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، عبد الوهاب بن منصور (محقق)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص76.

(17) المراكشي، المعجب، ص174.

(18) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص205.

(19) تينملل: قرية واقعة بأعلى جبال درن، تمتاز بالمنعة والحصانة، اختارها مؤسس الدعوة الموحدية محمد بن تومرت مركزًا لمقامه وبث دعوته، وفيها دفن هو وخليفته عبد المؤمن. انظر: الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص64.

(20) المراكشي، المعجب، ص174؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص210.

(21) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي (ت 594/ 1198) (1964)؛ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، عبد الهادي التازي (محقق)، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، السفر الثاني، ط1، ص149.

ب. مولده ونشأته وتعليمه:

ولد السيد أبو حفص عمر في مدينة تينملل أثناء إقامة والده عبد المؤمن بها، بعد أن انتقل إليها بصحبة المهدي بن تومرت سنة 518هـ/1124م[22]، ولم تكشف المصادر لنا عن سنة ولادته بالتحديد، بل اكتفت بالذكر أنه أكبر سناً بسنوات قليلة من أخيه الشقيق الوحيد من أمه الخليفة أبي يعقوب يوسف الذي ولد سنة 533هـ/ 1139م، وعلى ذلك يمكن تقدير ولادته في نحو سنة 530هـ/ 1135م، ونشأ السيد أبو حفص في أحضان والده عبد المؤمن بن علي الذي عرف عنه غزارة علمه وحبه للجهاد، فشهد في مرحلة طفولته الحرب الضروس التي كان يخوضها والده مع دولة المرابطين والتي انتهت بنصر حاسم للموحدين بسقوط مراكش دار ملك المرابطين بيد الخليفة عبد المؤمن في أواخر سنة 541م /1147م[23]، لتنتقل بذلك أسرة السيد أبي حفص عمر من تينملل حيث الحياة الجبلية الصعبة، إلى مدينة مراكش حيث القصور المترفة والبساتين اليانعة، ليفتح السيد أبو حفص عينية على حياة جديدة مليئة بالعمل والتدريب والتهذيب، فقد كان الخليفة عبد المؤمن يولي أبناءه ومنهم السيد أبو حفص عنايته الشديدة، فكان يطعمهم الطعام الحسن ويلبسهم مثل ما يلبس من الثياب، وكان يعلمهم منذ صغرهم الدين ويشتد عليهم فيه ويعلمهم الأذان، ويحرص على تعليمهم الرمي والعوم وركوب الخيل، والتدرب عليها مع صغار الطلبة من الموحدين، وكان من حرص عبد المؤمن على تأديب ابنه أبي حفص عمر وسائر أخوته؛ أنه يأخذه لحضور الصلوات الخمس في الجماعات، وقراءة حزب من القرآن الكريم إثر كل صلاة، والحضور مع المؤذنين في الأسحار لارتقاب الفجر والمنازل[24]، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء[25].

ولما كان الخليفة عبد المؤمن بن علي محباً للعلم، ومجلاً لقدره، ولقدر العلماء، فقد كان يستدعي أهل العلم من مختلف أنحاء البلاد "للسكون عنده والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"[26]، وكان من العلماء الذين استدعاهم الخليفة عبد المؤمن لتأديب ابنه أبي حفص عمر وسائر أخوته، المؤدب أبا جعفر أحمد بن عبد الجليل التدميري[27] الذي كان متقدماً في صناعة اللغة العربية، والمؤدب أبا العباس أحمد بن حسن الجراوي[28]، الذي كان من كبار النحاة والأدباء بالأندلس، سار إلى مراكش بطلب عبد المؤمن فأدب بنيه،

(22) ابن القطان، نظم الجمان، ص139-142.

(23) ابن أبي دينار، المؤنس، ص109.

(24) ابن القطان، نظم الجمان، ص172.

(25) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت 768/ 1367) (1997)؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، خليل المنصور (محقق)، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ط1، ج3، ص316.

(26) المراكشي، المعجب، ص150.

(27) هو أحمد بن عبد الجليل بن عبدالله التدميري، سمع من أبي علي بمرسية في سنة 510هـ/ 1116م، وسكن المرية وأخذ بها عن أبي الحجاج بن يسعون وغيره، له شرح في أبيات الجمل للزجالي، توفي سنة 555هـ / 1160م. انظر: ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت 658/ 1260) (1989)؛ المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، إبراهيم الابياري (محقق)، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت ط1، ص48-49.

(28) هو أحمد بن حسن سيد الجراوي المالقي، من كبار النحاة والأدباء بالأندلس، درس النحو والأدب كثيرًا، وكان شاعرًا كاتبًا بليغًا، انتقل لمراكش بطلب الخليفة عبد المؤمن، وبها توفي بعد سنة 560هـ/ 1165م. انظر: السيوطي، جلال الدين عبد

فسما قدره وعظم صيته [29]. ويبدو أن السيد أبا حفص قد أخذ عن هؤلاء المؤدبين فصاحة اللسان وبلاغة الأسلوب وجودة التعبير وحسن النظم والنثر إذ نجده أثناء خدمته في سلك الدولة يقوم أحياناً بكتابة رسائله الرسمية بنفسه رغم اتخاذه كتاب خصوصيون له، مثال ذلك الرسالة التي ينسبها إليه ابن صاحب الصلاة ويجعلها من إنشائه والتي أرسلها إلى أحد ولاة الأندلس بتاريخ 14 شوال 562هـ/ آب 1167م، يصف فيها مجريات المعركة التي خاضها الجيش الموحدي مع زعيم قبيلة غمارة أحد الثائرين على سلطان الدولة[30]؛ حيث أظهرت الرسالة التي كتبت بأسلوب إنشائي بديع مدى بلاغة وفصاحة السيد عمر مع سعة ثقافته وتبحره بعلوم اللغة والأدب.

ولا شك أن هذه التربية الإسلامية العسكرية قد أثرت في حياة وشخصية السيد أبي حفص عمر، فنشأ وعاش بعيد الهمة، ملتزماً بتعاليم دينه، جاداً في تعامله مع الآخرين، فظهرت عليه علامات نبوغه مبكراً، مما أكسبه ذلك ثقة والده الخليفة عبد المؤمن، فكان من بين أول أبنائه الذين اختارهم لتولي المناصب الإدارية والسياسية والعسكرية في الدولة؛ إذ عينه عام 548هـ/ 1153م والياً على تلمسان وأعمالها[31]، ثم في عام 555هـ/ 1160م قلده منصب الوزارة[32]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على علو قدره وارتفاع منزلته بين سائر أخوته ورجال دولته.

أما عن زواجه، فيشير ابن صاحب الصلاة أنه تأخر حتى سنة 564هـ/ 1169م، حيث في هذه السنة عقد قرانه بابنة الشيخ الحافظ أبي عبدالله بن أبي إبراهيم أحد أصحاب المهدي بن تومرت، دون أن يذكر اسمها أو تفصيلاً عنها[33]، ويستشف من رواية ابن عذاري أن السيد أبا حفص أنجب منها العديد من الأبناء، وأن الخليفة أبا يعقوب قد تولى رعايتهم بنفسه بعد وفاة أخيه[34]؛ ويبدو أنه أحسن تربيتهم وتعليمهم حتى لمع نجم العديد منهم على الساحة السياسية في المغرب والأندلس، وشاركوا بشكل فاعل في بناء الدولة وإدارتها، ولعل ممن اشتهر منهم أبو زيد عبد الرحمن الذي يعود له الفضل بأخذ البيعة العامة بالخلافة لابن عمه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمنصور (580–595هـ/ 1184م–1199م)، ومن ثم لابنه الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف (595–610هـ/ 1199–1213م)[35]، وهناك أيضاً أبو زكريا يحيى الذي أشرف على أخذ البيعة بالخلافة للمستنصر بالله يوسف بن

الرحمن (ت 911/ 1505) (1979)؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم (محقق)، دار الفكر، بيروت، ط2، جـ1، ص302.

(29) غضبان، أكرم (2007)؛ التأديب في عهد الموحدين، مجلة آداب البصرة، العدد 44، ص 135–156، ص137.

(30) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص322؛ عزاوي، أحمد (1995) (محقق)؛ رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص106–107.

(31): البيذق، أخبار المهدي، ص76؛ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712/ 1312) (1985)؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين، محمد إبراهيم الكتاني وآخرون (محققون)، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، ص50؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص316.

(32) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص149.

(33) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص297.

(34) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص140.

(35) المراكشي، المعجب، ص194، 230.

محمد بن يعقوب سنة (610-620هـ/ 1213-1224م)[36]، وأبو الحسن علي الذي عهد إليه الخليفة المنصور بولاية تلمسان[37]، وأبو عبدالله الذي ولي أمر ميورقة[38] في خلافة الناصر[39]، وأبو الربيع سليمان الذي ولي إمارة مدينة بطليوس[40] بالأندلس في خلافة المنصور ومن ثم ولاية مدينة سجلماسة[41] في خلافة المستنصر بالله[42].

ج. وفاته:

أصيب السيد أبو حفص بمرض الطاعون الذي انتشر في بلاد المغرب الأقصى والأندلس سنة 571هـ/ 1175م، والذي استمر سنة كاملة حتى منتصف سنة 572هـ/ 1176م، وبالرغم من شفاء السيد أبي حفص من هذا المرض الذي كاد أن يودي بحياته، إلا أنه على ما يبدو بقي عليلاً منه إذ لم نسمع له عن أي دور عسكري سواء في المغرب أو بلاد الأندلس منذ إصابته بهذا المرض حتى كانت وفاته في مدينة قرطبة في ربيع الأول من سنة 575هـ/ 1180م، وكان أخوه أبو علي الحسن والي قرطبة آنذاك هو من تكفل بدفنه ونقل أبنائه من قرطبة إلى مراكش حيث سار بمعيتهم بنفسه حتى أنزلهم بين يدي أخيه الخليفة أبي يعقوب الذي فرح بهم كثيراً رغم شدة حزنه على والدهم[43]. أما عن عمره عندما حضرته الوفاة، فيمكن تقديره بالاعتماد على الروايات التي تحدثت على أنه أكبر سناً من أخيه الشقيق أبي يعقوب بسنوات قليلة، بأنه ناهز الخمسة والأربعين عاماً.

ثانياً- دوره السياسي والحضاري في بلاد المغرب والأندلس:

اشتهر السيد أبو حفص عمر بأنه كان إدارياً ناجحاً وسياسياً محنكاً، إذ قضى معظم حياته بتولي المناصب الإدارية والسياسية في خلافة والده عبد المؤمن ومن ثم خلافة أخيه أبي يعقوب يوسف، فقد عهد إليه والده عبد المؤمن بولاية تلمسان وأعمالها سنة 548هـ/ 1153م، ووجه معه الشيخ أبا محمد بن وانودين وزيراً، وأبا الاصبغ بن

(36) المراكشي، المعجب، ص238؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص325.

(37) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص327.

(38) ميورقة: هي أكبر جزر الجزائر الشرقية (جزر البليار) التي تقع إلى الشرق من الأندلس في البحر المتوسط قبالة برشلونة وبلنسية، فتحها المسلمون سنة 89هـ/ 708م. انظر: البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت 487/ 1094) (1968)؛ جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، عبد الرحمن علي الحجي (محقق)، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص66.

(39) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص332.

(40) بطليوس: مدينة بالأندلس من إقليم ماردة بينهما 40 ميلًا. انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 866هـ/ 1461م) (1984)؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس (محقق)، مكتبة لبنان، بيروت، ص93.

(41): سجلماسة: مدينة تقع في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان، تبعد عن مدينة فاس 445 كم تقريبًا. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ3، ص192.

(42) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص330؛ المراكشي، المعجب، ص239.

(43) الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن بهادر (ت 794/1391-1392) (1966)؛ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد ماضور (محقق)، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، ص9؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص136؛ 140.

عياش كاتباً[44]، وظل أبو حفص يتولى أمور تلمسان وقد ظهرت منه دلائل الصلاح واتصال العدل والفضل بها وبأهلها إلى سنة 555هـ/ 1160م، حيث في هذه السنة وأثناء عودته من غزوة المهدية[45] أوقع الخليفة عبد المؤمن بوزيره عبد السلام الكومي[46] وقتله، وبناء على مشورة من أشياخ الموحدين أستوزر بدلاً منه ابنه السيد أبو حفص عمر[47]، فانتقل بذلك السيد أبو حفص من تلمسان إلى دار الإمارة في مراكش، ليصبح بذلك الرجل الثاني في الدولة بعد والده الخليفة الذي أخذ يلازمه في كل خطواته، ولتمييز أفراد الأسرة المالكة أنفسهم عن سائر الوزراء في دولة الموحدين، اتخذ السيد أبو حفص وزيراً مساعداً له يعمل بين يديه وهو أبو العلاء إدريس بن جامع، وتميزت وزارته هذه التي استمرت حتى وفاة والده سنة 558هـ/1163م، بأنها كانت وزارة تنفيذ؛ إذ لم يتعد دوره عن تنفيذ توجيهات والده في النواحي السياسية والإدارية، والمشاركة في قيادة الجيش، وتنظيم دخول الوفود على والده في المناسبات، كما فعل في سنة 555هـ/ 1160م، عندما عبر برفقة والده البحر للأندلس للاحتفال ببناء مدينة جبل طارق[48]، وهناك تكفل في تنظيم دخول الوفود الذين قدموا من مختلف بلاد المغرب والأندلس للسلام على والده وتجديد البيعة والمباركة له، فأدخلهم على نحو من الترتيب والتأديب[49].

وعندما عزم والده الخليفة عبد المؤمن على جواز البحر للأندلس برسم الغزو والجهاد سنة 558هـ/1163م، تقدم السيد أبو حفص إلى جانبه على رأس ذلك الجيش يقود بعض الأجناد، غير أن مرض والده عند بلوغ الحملة لمدينة سلا[50] ووفاته هناك، حال دون استكمال الحملة لمرادها[51]، لكن ما حدث في مدينة سلا قبيل وبعيد وفاة والده من أحداث، كشف عما يمتلكه السيد أبو حفص من قوة شخصية، ونباهة عقل، وسؤدد رأي، وكيف نجح في خلع أخيه محمد من الخلافة، وأخذ البيعة لأخيه الشقيق أبي يعقوب يوسف.

فقد أجمعت معظم الروايات على أن الخليفة عبد المؤمن بن علي كان قد أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لابنه الأكبر سناً أبي عبدالله محمد سنة 549هـ/ 1154م، ولم تذكر بعد ذلك خوضاً في هذا الموضوع حتى أن حضرت الوفاة للخليفة عبد المؤمن سنة 558هـ/ 1163م، وصدر الأمر بخلع محمد عن ولاية العهد والبيعة لأبي يعقوب

(44) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص151.

(45) المهدية: مدينة بإفريقية بناها عبيدالله الشيعي المهدي سنة ثلاثمائة للهجرة، بينها وبين القيروان 60 ميلًا. انظر: مؤلف مجهول (عاش في القرن 6هـ/ 12م) (1985)؛ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، سعد زغلول عبد الحميد (محقق)، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية "، بغداد.

(46) هو عبد السلام بن محمد الكومي، وكان يدعى المقرّب لشدة تقريب عبد المؤمن له، استمرت وزارته من سنة 553هـ/ 1158م، إلى أن أرسل عبد المؤمن من قتله خنقًا سنة 555هـ/ 1160م. انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص173-181.

(47) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص67-68.

(48) جبل طارق: هو جبل يقع في الزقاق بين الأندلس وبلاد المغرب، سمي بهذا الاسم نسبة إلى طارق بن زياد، بينه وبين الجزيرة الخضراء 6 أميال. انظر: الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص177.

(49) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص149.

(50) سلا: مدينة تقع بأقصى المغرب على البحر المحيط، تبعد عن مراكش 290 كم تقريبًا. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ3، ص231.

(51): البيذق، أخبار المهدي، ص81؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص217-221.

يوسف. وهنا يشير كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذاري إلى أن الخليفة عبد المؤمن عندما اشتد عليه مرضه الذي توفي به، أمر بتنحية ابنه محمد من ولاية العهد وإسقاط اسمه من الخطبة، وذلك قبل وفاته بأسبوع واحد فقط[52]، ويضيف ابن صاحب الصلاة أن سبب خلع محمد من ولاية العهد هو تأكد والده عبد المؤمن من أمور لا يصلح معها أبو عبدالله للخلافة، ولعل أهمها شربه للخمر[53].

ويذكر البيذق وهو من شاهدي العيان، أن أبا حفص عمر شقيق السيد أبي يعقوب يوسف كان هو صاحب المبادرة في تقديم شقيقه يوسف لولاية العهد في فترة مرض والدهما، فيقول:" ثم مرض الخليفة وكان الأمير عمر وزيره، فوجه إلى أخيه يوسف في إشبيلية[54]، وأعطاه الولاية وبايعه الناس"[55]، ويورد ابن صاحب الصلاة ما يؤيد ما ذهب إليه البيذق؛ إذ يذكر أن عبد المؤمن اختلى بالسيد أبي حفص عندما اشتد به المرض فأوصاه، وكان أبو حفص وقتئذ قد ملك الأمر كله، وأن المرض لا زال يشتد بالخليفة عبد المؤمن حتى صدر الأمر بخلع محمد عن العهد وولي أبو يعقوب يوسف "وذلك بجد أخيه شقيقه السيد الأعلى أبي حفص إليه"[56]. ويبدو أن ما جاء في وصية الخليفة عبد المؤمن للسيد أبي حفص عمر هو تقديم يوسف للخلافة من بعده وأخذ المواثيق عليه بذلك، وهذا ما يفسر لنا سر تقديم عمر لشقيقه يوسف على نفسه لتولي الأمر عقب وفاة والده، والعمل مع الشيخ أبي حفص الهنتاتي[57] على استتباب الأمر وأخذ البيعة لأبي يعقوب. وهناك من يشير إلى أن السيد أبا حفص عمر كتم خبر وفاة والده إلى أن كملت البيعة لأبي يعقوب من جميع البلاد[58]، ولا شك أن الغاية من ذلك كانت تضييع الفرصة على الأخوة الطامعين في العرش، علاوة على تجنب ثورات الطامعين وحركات التمرد والانفصال خاصة وأن الدولة لا تزال في طور التأسيس.

وفي مقابل هذه الروايات التي تشير إلى خلع السيد أبي حفص لأخيه محمد من ولاية العهد في حياة والده، نجد أن هناك فريقاً آخر من المؤرخين يؤكد اعتلاء محمد بن عبد المؤمن لسدة حكم الدولة الموحدية لمدة خمس وأربعين يوماً، ثم أنه خلع خلعاً لأمور عيبت عليه من قبل أخوته وأشياخ الموحدين، كان أهمها إدمانه على شرب الخمر، وكثرة طيشه وجبن نفسه، وإصابته بمرض الجذام، ويتقدم هؤلاء المراكشي وابن خلكان والسلاوي والذهبي[59]، الذين

(52) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص221؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص79.

(53) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص216.

(54) إشبيلية: مدينة كبيرة بالأندلس، تقع إلى الغرب من مدينة قرطبة على بعد 80 ميلًا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص58-59.

(55) البيذق، أخبار المهدي، ص81.

(56) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص221.

(57) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر ينتي، وكان اسمه الأصلي فصكة فسماه المهدي عمر، وهو شيخ قبيلة هنتاتة وجد بني حفص ملوك الموحدين بتونس، وكان من أقرب أعوان عبد المؤمن بن علي، ومن قادة الموحدين العظماء، توفي في الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 571هـ/ 1175م. انظر: البيذق، المقتبس، ص32.

(58) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733/ 1333) (1983)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، حسين نصار (محقق)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، جـ24، ص321-322.

(59) المراكشي، المعجب، ص-173-174؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ7، ص130؛ السلاوي، أبو العباس شهاب الدين

جعلوا أيضاً اليد الطولى في خلع محمد من الخلافة لأخيه السيد أبو حفص عمر، الذي كان يشغل منصب الوزارة في أواخر حياة والده، وكانت له سيطرة على أمور الدولة، فأراد خلع أخيه غير الشقيق من الأم، وتقديم أخيه الشقيق يوسف للحكم بدلاً منه، يقول المراكشي: "لما مات عبد المؤمن، اضطرب أمر محمد هذا واختلف عليه اختلافاً كثيراً، فكانت ولايته إلى أن خلع خمسة وأربعين يوماً.. وكان الذي سعى في خلعه أخواه يوسف وعمر"[60]، ويضيف "ولما تم خلع محمد.. دار الأمر بين اثنين من ولد عبد المؤمن: يوسف وعمر، فأباها عمر منهما، وتأخر عنها مختاراً، وبايع لأخيه أبي يعقوب، وسلم له الأمر"[61].

ولكي يضمن السيد أبو حفص عمر زوال خطر أخيه محمد المخلوع، قام بالتعاون مع أخيه أبي يعقوب يوسف بسجنه، وهذا ما يؤكده البيذق بقوله:"ووجهوا محمداً إلى أغمات[62] فسجنوه فيها"[63]، بينما زعم ابن سعيد أن أبا يعقوب وأبا حفص خافا من خروج أخيهما محمد عليهما لما كان عليه من النجدة والشجاعة، فدسا إليه جاريه جميله سمته في خرقة الجماع[64]. وأياً كان الأمر فإن كلتا الروايتين تشيران إلى عزم السيد أبي حفص عمر على إيصال شقيقه أبي يعقوب إلى سدة الحكم مهما كانت الوسيلة وإن بلغت حد القتل.

مما سبق يظهر أن السيد أبا حفص عمر قد لعب دوراً فاعلاً في خلع أخيه محمد من الخلافة، والأخذ بالبيعة لأخيه الشقيق أبي يعقوب يوسف. أما عن عدم طلب السيد عمر الخلافة لنفسه وتقدمه شقيقه الأصغر سناً عليه في ذلك خاصة وأن الأمر كان في متناوله؛ فيبدو أنه لم يكن يجد في نفسه الكفاية التي تؤهله لإدارة الأَمر العام لدولة مترامية الأطراف ومتعددة الأطياف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه وجد في أخيه يوسف من الصفات ما تؤهله لتولي أمر الموحدين بعد وفاة والده، وهناك أمر ثالث قد يكون التزامه بتنفيذ وصية والده وهو على فراش الموت بأن يكون الأمر من بعده لأبي يعقوب، فبايعه أبو حفص وبايعه الناس واتفقت الكلمة عليه.

وفي عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف تمتع السيد أبو حفص عمر بمكانة خاصة، وأخذ يتدخل في إدارة جميع شؤون الدولة عن رضا وموافقة من أخيه أبي يعقوب، فقد أقره أبو يعقوب في بداية الأمر بمنصب الوزارة حتى سنة 560هـ/ 1164م، وجمع معه الحجابة، ومنحه سلطة مطلقة في إدارة مختلف نواحي الدولة، ويشير إلى ذلك ابن عذاري فيقول:"واستبد السيد الأعلى أبو حفص بالأوامر السلطانية على ما كان عليه مع أبيه.. وجميع الموحدين وأشياخ القبائل على الرضى به والتيامن بمقدمه"[65]، أما ابن أبي زرع فيقول:"حاجبه الضابط لأمره والقائم بملكه أخوه

أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/ 1892م) (2007)؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، محمد عثمان (محقق)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، جـ1، ص275؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ21، ص99.

(60) المراكشي، المعجب، ص173.

(61) المراكشي، المعجب، ص174.

(62) أغمات: وهي مدينتان متقابلتان، تسمى إحداهما أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانه، وبينهما نحو 8 أميال. انظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص207.

(63) البيذق، أخبار المهدي، ص82.

(64) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/ 1286م) (1945)؛ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ابراهيم الإبياري (محقق)، دار المعارف، القاهرة، ص131.

(65) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص83، 166.

السيد عمر"[66]، ولم يقتصر دور السيد أبو حفص أثناء شغله لمنصب الوزارة لأخيه على النواحي السياسية والإدارية، بل اتسعت مهامه وصلاحياته لتشمل تنظيم الجيش وقيادته، ويظهر ذلك جلياً عندما قاد السيد أبو حفص وهو يشغل منصب الوزير سنة 560هـ/ 1164م الجيش الموحدي في معركة فحص الجلاب ضد ابن مردنيش[67] في شرق الأندلس، وقد أجلت تلك المعركة عن انهزام ابن مردنيش وتشتت قواه[68].

ويبدو أن السيد أبا حفص بعد هذا النصر الذي حققه على ابن مردنيش، ارتفع قدره عن الوزارة إذ رآها دونه[69]، فاستعفى أخيه من منصبه فأعفاه سنة 560هـ/ 1164م، وأختص أبو يعقوب بوزارته مكانه بأبي العلاء إدريس بن إبراهيم بن جامع الذي كان يشغل منصب الوزارة تحت إشراف وبين يدي السيد أبي حفص منذ سنة 555هـ/ 1160م[70]، ليتفرغ السيد أبو حفص بعد ذلك ليشارك أخيه الخليفة في أعمال الجهاد وقيادة الجيوش، وتنظيم إدارة الولايات، علاوة على قيامه بمهام المستشار الخاص للخليفة؛ إذ اعتمد الخليفة على رأيه في عزل ولاة الأقاليم وتعيينهم، فعندما استقرت أمور الدولة سنة 560هـ/ 1164م رغب الخليفة أبو يعقوب بتعيين ولاة على الأقاليم التي كانت دون والٍ وخاصة بجاية[71] وإشبيلية، فاختار لبجاية بمشورة أخيه السيد عمر، أخاهم السيد أبا زكريا يحيى، وعين على إشبيلية أيضاً بمشورة أخيه السيد عمر، الشيخ الحافظ أبا عبدالله بن أبي إبراهيم أحد أصحاب المهدي بن تومرت، وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة "نظر الأمير بمشاورة أخيه السيد الأعلى أبي حفص في حديث بجاية.. فاختاروا لها من الإخوة السيد أبي زكريا يحيى.. ثم نظروا أيضاً في حديث إشبيلية.. فاختاروا لها من أبناء الجماعة الشيخ الحافظ أبا عبدالله ابن الشيخ المرحوم أبي إبراهيم"[72].

كما اعتمد الخليفة أبو يعقوب على رأيه في توجيه العساكر وتأمين جهات الدولة، كما حدث في الاجتماع الحربي الذي جمعه مع الخليفة أبي يعقوب في مدينة إشبيلية في المحرم من 567هـ/ أيلول 1171م، للتباحث فيما يجب القيام به لحماية الأندلس، وكان أول ما تقرر في ذلك الاجتماع بمشورة السيد أبي حفص إغاثة مدينة بطليوس وتعزيز

(66): ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص206.

(67): هو أبو عبدالله محمد بن سعد بن محمد الجذامي بن مردنيش، ولد سنة 518هـ/ 1124م بقلعة من أعمال مدينة طرطوشة، يقال لها بنشكلة، وكان في هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى النصارى، وتوفي سنة 567هـ/ 1172م. انظر: ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/ 1374م)(1956)؛ تاريخ إسبانية الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ليفي بروفنسال (محقق)، دار المكشوف، بيروت، ص259-261؛ ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 1260/595) (1985)؛ الحلة السيراء، حسين مؤنس (محقق)، دار المعارف، القاهرة، ط2، جـ2، ص232-233، 260.

(68) ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ2، ص260.

(69) المراكشي، المعجب، ص180.

(70) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص91؛ حسن، حسن (1980)؛ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص100.

(71)بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري، في حدود سنة 457هـ/ 1065م. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص339.

(72) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص293.

حاميتها، من خلال تعجيل إرسال الميرة والأقوات إليها[73].

كذلك قام السيد أبو حفص بمهام نائب الخليفة في الحضرة مراكش حال غياب الخليفة لأمر ما، مثلما حدث سنة 572هـ/ 1176م، عندما خرج الخليفة للقضاء على ثورة صنهاجة القبلة، واستمر غيابه لمدة سبعة عشر يوماً، إذ عين السيد أبو حفص والياً على مراكش وأميراً على الناس، يتصرف في مقاليد **الأمور** في العاصمة ويشرف على الدولة مستخدماً في ذلك حقه كممثل للخليفة في سلطانه[74].

ثالثاً- دوره العسكري في بلاد المغرب والأندلس:

أ- دوره في القضاء على ثورات الخارجين على سلطان الموحدين في المغرب والأندلس:

شهدت بلاد المغرب والأندلس خلال حياة السيد أبي حفص عمر العديد من الثورات التي استنزفت الكثير من جهد الموحدين ووقتهم ورجالهم وأموالهم، وشغلتهم عن الاستعداد لمواجهة العدو الرئيسي للدولة الموحدية وهو الممالك الإسبانية في الأندلس، وجاء على رأس هذه الثورات التي شارك السيد أبو حفص في التصدي لها ببلاد المغرب، ثورة سبع بن منغفاد بن حيان الغماري زعيم قبيلة غمارة[75]، الذي شق عصا الطاعة في منطقة غمارة سنة 561هـ/ 1166م، واستطاع أن يضم لثورته قبيلة صنهاجة الذين استهوتهم الثورة ضد الموحدين[76]. وكان الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف قد أرسل بداية الأمر جيشين للقضاء على هذه الثورة؛ جعل على قيادة الأول الشيخ أبي حفص بن عمر الهنتاتي، وكلفه بالمسير لقتال قبائل غمارة، بينما أسند قيادة الجيش الثاني للشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن، ووجهه إلى بلاد صنهاجة التي تقع إلى الشمال من غمارة بجوراها[77]، لكن فشل هذين الجيشين في القضاء على الثورة دفع الخليفة أن يخرج بنفسه على رأس جيش هائل العدد مصطحباً معه أخاه أبا حفص عمر، وتوجهوا بقواتهم أولاً نحو بلاد غمارة على اعتبار أنها رأس الفتنة، فكانت أول جهة يقصدونها الجبل المعروف بـ(ودكة)[78]، فاقتحموه بجملة جيشهم في آن واحد، وما هي إلا لحظات حتى تمكنوا من دحر الثائرين والاستيلاء عليه، وكان ذلك في الثالث من شهر رمضان سنة 562هـ/ تموز 1167م[79].

---

(73) السلاوي، الاستقصا، جـ1، ص278؛ السامرائي، خليل وآخرون (د.ت)؛ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ص267.

(74): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص137؛ حسن، الحضارة الإسلامية، ص83.

(75) البيذق، أخبار المهدي، ص86؛ السملالي، عباس (1993)؛ الاعلام بمن حل مركش وأغمات من الاعلام، عبد الوهاب بن منصور (مراجعة)، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، جـ10، ص308.

(76) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص320.

(77) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص308.

(78) جبل ودكة: يقع شمالي بني زروال، ويرتفع عن سطح البحر بثمانمائة متر، وتبلغ مساحة غابته ثمانمائة ألف هكتار. انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص312.

(79) زنيبر، محمد (1999)؛ المغرب في العصر الوسيط (الدولة- المدينة- الاقتصاد)، كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، ص188؛ مراجع عقيلة الغناي (1981)؛ سقوط دولة الموحدين، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، ط2، ص96.

أقام السيد أبو حفص بصحبة أخيه الخليفة أبي يعقوب مدة يومين بأعلى جبل ودكة، عملوا خلالها على ملاحقة فلول غمارة، واستقبال من أتى منهم لإعلان التوحيد والطاعة، ثم تحركوا تجاه جبل الكواكب[80] حيث يعتصم رأس الفتنة سبع بن منغفاد[81]، وبمجرد وصولهم للجبل قاموا بمحاصرته من كل ناحية، مضيقين الخناق على كل من فيه من متمردين وثوار، وهنا حاول سبع بن منغفاد إطالة مدة الحصار إلى أبعد أمد ممكن، لعل ذلك يحبط من عزيمة الموحدين، حيث لجأ إلى الحيلة والخديعة من خلال إعلان الطاعة، وعندما ضرب له الخليفة موعداً لتقديم البيعة نكث بالوعد، عندئذ قرر الخليفة أبو يعقوب أن ينتقم منهم شر انتقام، فوجه إليهم أخاه السيد أبي حفص على رأس جيش من الموحدين، فاقتحم السيد أبو حفص على الثوار معقلهم الرئيسي جبل الكواكب، وكان بداية الهجوم يوم الاثنين الخامس من شوال سنة 562هـ/ آب 1167م، وما هي إلا أيام معدودة حتى انهارت مقاومة المتمردين، واستطاع السيد أبو حفص الاستيلاء على الجبل كله بعد أن أمعن القتل والأسر في صفوف المتمردين. أما رأس الفتنة وزعيم الثورة، سبع بن منغفاد فقد تمكن من الفرار من قبضة السيد أبي حفص لاجئاً إلى جبل قريب يجيره، فنزل في حماية جماعة من أنصاره من قبيلة غمارة، لكن تلك الجماعة التي وثق في إيوائها له، قبضت عليه وسلمته للموحدين، وفي الحال صدر بحقه حكم الإعدام، فصلب ثم قتل وحمل رأسه إلى مراكش ليكون عبرة لغيره[82]. أما قبيلة صنهاجة فما أن علموا بقتل زعيم الثورة سبع بن منغفاد، حتى بادروا إلى الإذعان والطاعة[83].

وشهدت سنة 563هـ/ 1167م، فتنة جديدة لقبائل البربر؛ إذ في هذه السنة أعلنت بعض البطون البربرية في جبل تاسررت بنواحي المغرب الأقصى، خلع الطاعة الموحدية[84]، فلما صح عند الخليفة أبي يعقوب خبر ارتدادهم وتسببهم في انعدام الأمن بنواحيهم، جهز لهم جيشاً كبيراً من الموحدين، وجعل على قيادته أخاه السيد أبو حفص عمر، فسار إليهم السيد أبو حفص وما أن وصل إليهم حتى أحدث فيهم القتل والسبي والنفي، فشتت جموعهم واستأصل وجودهم وشأفتهم من ذلك الجبل [85]، ثم انصرف عائداً إلى مراكش حاملاً البشرى بالنصر والظفر، وقد نظم الشاعر أبو عمر بن حربون[86]، قصيدة طويلة امتدح بها السيد أبي حفص على ما حققه من نصر في غزوته

(80): جبل الكواكب: هو جبل مجاور لجبل يني يرزو، يتصل ببلاد غمارة من جهة الجنوب، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر زهاء ألفي متر. انظر: الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص64، 170.

(81): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص314-315.

(82) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص314-323؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص95؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص320؛ السلاوي، الاستقصا، جـ1، ص277؛ السملالي، الاعلام، جـ10، ص308؛ الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص97؛ زنيبر، المغرب في العصر الوسيط، ص188-189.

(83) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص96-97.

(84) الصلابي، علي (2005)؛ تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي، دار المعرفة، بيروت،، ط1، ص357.

(85) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص102.

(78): هو أبو عمر أحمد بن عبدالله بن حربون الشلبي، كان أولًا في جملة كتاب ابن قسي زعيم المريدين، ثم في جملة كتاب السيد أبي حفص، ولم نقف على تاريخ وفاته، غير أنه كان حيًا سنة 564هـ/ 1168م. انظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ2، ص201؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص245. منصور، عبد الوهاب (1983)؛ أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، ج3، ص310-318.

لأهل تاسررت، فكان مما قال[87]:

بيمنكم نجح المطلب وأعطى مقدته المصعب
تركتم ديارهم بلقعاً فتندب من جاءها يندب

هذا ولم يقتصر دور السيد أبي حفص عمر على مواجهة الثوار في بلاد المغرب فقط، بل امتدت جهوده في ذلك لبلاد الأندلس، وخاصة تلك الثورة التي أرقت الموحدين واستنزفت الكثير من وقتهم وقواهم، وهي ثورة محمد بن سعد بن مردنيش، الذي استقل بشرق الأندلس سنة 542هـ/ 1147م، وامتدت مملكته من بلنسية[88] شمالاً إلى قرطاجنة[89]جنوباً[90].

وكان النزاع العسكري بين ابن مردنيش والموحدين قد بدأ منذ عام 554/ 1160م، وكانت الحرب سجالاً بينهما، غير أنه عندما تولى الخليفة أبو يعقوب يوسف أمر الموحدين سنة 558هـ/ 1163م، أولى اهتماماً كبيراً لمحاربة ابن مردنيش، الذي والى النصارى في داخل شبه الجزيرة الأيبيرية وخارجها، وناصب الموحدين العداء واحتل مدناً أندلسية تابعة لهم[91]، فسير إليه سنة 560هـ/ 1165م جيشاً موحدياً بقيادة بعض مشايخ الموحدين؛ إلا أن ذلك الجيش الذي اصطدم مع قوات ابن مردنيش في معركة عنيفة سميت بمعركة وادي لك في شعبان من السنة المؤرخة فشل في تحقيق أي تقدم يذكر على ابن مردنيش[92]، وهذا ما دفع الخليفة أبو يعقوب أن يوكل مهمة القضاء على تمرد ابن مردنيش إلى أخيه السيد أبي حفص عمر.

وكان أول عبور للسيد أبي حفص للأندلس لمنازلة ابن مردنيش في رمضان سنة 560هـ/ 1165، حيث سار من مراكش على رأس جيش ضخم من الموحدين والمقاتلين العرب، فنزل أولاً في مدينة إشبيلية، وعقد فيها على الفور مجلساً حربياً ضم أخاه السيد أبا سعيد عثمان والي قرطبة[93] وعدد من زعماء الموحدين، تدارس فيه الخطط اللازمة لمواجهة ابن مردنيش، فاستقر رأيه مع الحضور على مبادرة ابن مردنيش بالهجوم، ومحاربته في عقر داره[94]. وتنفيذاً

(87) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص360-361.

(88) بلنسية: مدينة مشهورة تقع في شرق الأندلس على ساحل البحر المتوسط. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص97.

(89) قرطاجنة: مدينة بالأندلس، تقع بالقرب من ألش من أعمال تدمير، وهي فرضة مدينة مرسية. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص339.

(90) سالم، السيد (1985)؛ في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص75؛ الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص90.

(91): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص261.

(92): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص88؛ عنان، محمد (1964)؛ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج3، ق2، ط1، ص15.

Miranda, A. (1965); Historia política del imperio almohade, Instituo General Franco de estudios de studios e investigacón hispano-árabe (ed.), Editora Marroquí, Tétouan, part 1, p. 225.

(93) قرطبة: هي أم مدائن الأندلس ومستقر خلافة الأمويين، تقع على الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص456-459.

(94) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص88-89؛ أبو الفضل، محمد أحمد (1996)؛ شرق الأندلس في العصر

لما جاء في هذا المجلس سار السيد أبو حفص بجيشه من إشبيلية إلى قرطبة في أول ذي القعدة سنة 560هـ/ أيلول 1165م، وكانت أندوجر[95] أول مدينة ينازلها، وذلك لقربها من قرطبة من جهة، ولأن قوات ابن مردنيش كانت تتخذ منها منطلقاً للإغارة على قرطبة من جهة أخرى، فاستولى عليها عنوة[96]، ثم واصل التقدم نحو بلاد ابن مردنيش فاتحاً جميع الحصون والقلاع في طريقه[97]، حتى وصل إلى مشارف مدينة لورقة[98]، فلما علم ابن مردنيش بذلك, وقد استشعر خطر الموحدين، أخذ بحشد جميع أهل شرق الأندلس وكل من له عليه طاعة، وأرسل إلى حلفائه النصارى في قشتالة[99] وأرغونة[100] طالباً العون والنجدة[101]، فحضر إليه من نواحيهم ثلاثة عشر ألفاً[102]، وخرج بهم على سبيل السرعة من مرسية[103] لاعتراض طريق الموحدين عند لورقة والحيلولة دون تقدمهم إلى مرسية، إلا أن السيد أبا حفص كان قد سبقه إلى لورقة ووحد أهلها[104]، بل وواصل تقدمه نحو مرسية[105]، فلما كان ظهر يوم الجمعة 7 ذي الحجة 560هـ/ 15 تشرين أول 1165م، وصل السيد أبو حفص إلى فحص مرسية الكائن على بعد عشرة أميال من مرسية، ونزل بجيشه بموضع منه يعرف بـ "فحص الجلاب"، هذا في الوقت الذي عسكر فيه ابن مردنيش بقواته قبالتهم[106]، ولم تلبث أن نشبت على الفور بين الطرفين معركة عظيمة استمرت من بعد الظهر حتى مغيب الشمس، عرفت بمعركة فحص الجلاب، انجلت عن انهزام ابن مردنيش وفراره بمن بقي معه من قوات مرتداً

الإسلامي (515-686هـ/ 1121-1287م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص123.

(95) أندوجر: حصن بالأندلس، يقع على نهر الوادي الكبير، إلى الشرق من مدينة قرطبة. انظر: أرسلان، شكيب (1936)؛ الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، المطبعة الرحمانية بمصر، 3ج، ط1، ج1، ص119.

(96) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص271.

(97) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص278-279.

(98) لورقة: لورقة: مدينة كبيرة بالأندلس، وهي قاعدة كورة تدمير، بينها وبين مرسية 40 ميلًا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص512.

(99) قشتالة: تشكلت في الأراضي الواقعة بين مملكتي ليون في الغرب، ونبرة في الشرق، وكانت في بداية أمرها تتخذ من مدينة برغش عاصمة لها، ثم بعد أن استولت على مدينة طليطلة عام 478هـ/ 1085م، نقلت العاصة لها. انظر: حتاملة، محمد (1999)؛ موسوعة الديار الأندلسية، عمان، 2ج، ط1، ج2، ص842-846.

(100) أرغونة: قامت مملكة أرغونة أو أرغون في الجهة الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة الايبرية، في شريط ضيق من الأرض جنوب جبال البرت (البرانس). انظر: الحميري، الروض المعطار، ص29؛ أشباخ، يوسف (1958)؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، محمد عبدالله عنان (مترجم)، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط2، ص9.

(101) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص89؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص266.

(102) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص210؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص277.

(103)مرسية: مدينة بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم سنة 216هـ/ 832م. انظر الحميري، الروض المعطار، ص539.

(104) البيذق، أخبار المهدي، ص88.

(105) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص16.

(106) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص260؛ أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص124؛ al-Ḥajjī, History, part 1, pp. 227-228

إلى مرسية، بعد أن أوقع الموحدون بجيشه مقتلة عظيمة، حتى قيل إن الموحدين قتلوا في هذه المعركة جميع القوات النصرانية التي حضرت مع ابن مردنيش والبالغ عددهم ثلاثة عشر الفاً[107].

وفي صباح اليوم التالي للمعركة 8 ذي الحجة/ 16 تشرين الأول، سار السيد أبو حفص في أثر ابن مردنيش حتى نزل بظاهر مرسية، ومن فوره بدأ بالغارات على أحوازها، يتلف زروعها، ويدمر بساتينها، واستمر على ذلك مدى أيام حتى امتلأت يديه بالغنائم والأقوات، ثم ارتأى إلى رفع الحصار عن مرسية، وعاد بصحبة أخيه السيد أبي سعيد إلى قرطبة بعد أن قاما بوضع حاميات موحدية في الحصون التي استولوا عليها، ولما وصلا إلى قرطبة تخلف بها السيد أبو سعيد بينما جاز السيد أبو حفص البحر عائداً إلى مراكش، فوصل إليها يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخر من سنة 561هـ/ 15 كانون الثاني 1166م[108]، وكان الخليفة أبو يعقوب قد خرج لاستقباله بنفسه، واستمر احتفال الموحدين بعودة السيد أبي حفص والعسكر من الموحدين والعرب لمدة خمسة عشر يوماً، وزعت خلالها الكسوة على الواصلين، وصنعت مختلف أنواع الأطعمة والأشربة الحلال للواصلين والمقيمين، فعم بذلك النعيم والسرور على جميع الموحدين[109].

ومما تجدر ملاحظته هنا أن حملة السيد أبي حفص على بلاد ابن مردنيش سنة 560هـ/1165م، كانت أول عمل عسكري موحدي يخترق مملكة وأراضي ابن مردنيش في شرق الأندلس، وأنها نجحت في تحقيق أهدافها، إذ أفرزت لنا مجموعة من النتائج، لعل من أهمها: انتزاع الموحدين عدداً من الحصون والقلاع من يد ابن مردنيش، كان أهمها حصن أندوجر الذي لم يفتأ في تشكيل خطر دائم على سلامة مدينة قرطبة، إضافة إلى أن النصر الذي تحقق في موقعة فحص الجلاب كان محفزاً قوياً للموحدين للقضاء نهائياً على ثورة ابن مردنيش.

وفي سنة 565هـ/ 1170، عاد أبو حفص ليقود حملة موحدية أخرى ضد ابن مردنيش وحلفائه النصارى في شرق الأندلس، خاصة بعد أن تعاظم خطره ونجح في استعادة بعض الحصون من الموحدين، فخرج من مراكش في شهر ذي القعدة سنة 565هـ/ آب 1170م، على رأس جيش مؤلف من عشرين الفاً من الموحدين والمتطوعة[110]، وبصحبة أخيه السيد أبي سعيد عثمان، وجماعة من أشياخ الموحدين؛ ووصل في عسكره إلى إشبيلية في أوائل عام 566هـ/ أيلول 1170م، وبدأ فيها أعماله بعقد مجلس حرب شارك فيه قادة وزعماء الأندلس والعدوة من عرب وموحدين، تقرر فيه غزو بلاد ابن مردنيش وتحطيم سلطانه بلا رجعة[111].

وبدأ تحرك السيد أبي حفص لتحقيق هذه الغاية في أول شهر رجب من سنة 566هـ/ آذار 1171م، حيث انطلق

---

(107) ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776/) (1974)؛ الإحاطة في أخبار غرناطة،محمد عنان (محقق)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، جـ1، ص484؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص210؛ أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص125.

(108): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص286– 289؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص91؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص19؛ مراجع عقيلة الغناي (1971)؛ قيام دولة الموحدين، المكتبة الوطنية، بنغازي، ط1، ص140.

(109): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص92.

(110): ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص211.

(111): عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص45–46؛ الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص109–110.

بجيشه من إشبيلية إلى قرطبة ومنها زحف نحو مرسية، فكانت أول مدينة ينازلها من بلاد ابن مردنيش مدينة قيجاطة[112] فاستولى عليها بعد قتال ونزال، ثم استأنف زحفه نحو مرسية حتى وصل إلى فحص مرسية، فاقتحم أولاً حصن الفرج المحاذي للمدينة خارج أسوارها، وكان متنزهاً لابن مردنيش، ثم استباح الجنان والبساتين وكل ما اتصل بمدينة مرسية من بسائط وقرى، وما هي إلا أيام حتى كان الموحدون يحاصرون مرسية أشد الحصار[113].

أما عن ابن مردنيش فقد لجأ في هذه الأثناء إلى استصراخ حلفائه النصارى لإنجاده، لكن على ما يبدو أنهم شعروا بدنو عاقبته، فنكسوا عن مساعدته[114]، هذا في الوقت الذي ثار فيه أهل لورقة ضد ابن مردنيش وراسلوا السيد أبا حفص بمحلته بظاهر مرسية يسألونه النصرة والإنجاد[115]، فأجابهم السيد أبو حفص في الحال، فتملك المدينة بعد حصار، ثم بعد أن اطمأن على تأمين جهاتها غادرها على الفور ومن معه من موحدين ليمضي في حصاره لمدينة مرسية[116]. وما أن وصل إلى محلته بفحص مرسية، حتى قدم عليه أهل حصن ألش[117] معلنين دخولهم في دعوة التوحيد، وتبعهم في ذلك أكثر أهل الحصون والمدن المجاورة مثل مدينة بسطة[118] والمرية[119] وجزيرة شقر[120][121].

وبينما كان السيد أبو حفص يحكم الحصار على مرسية قاعدة ملك ابن مردنش، جاءته الأنباء بعبور الخليفة أبي يعقوب يوسف نفسه إلى جزيرة الأندلس يوم 27 رمضان سنة 566هـ/ 1170م، في جموع جرارة ناهزت المائة ألف فارس من العرب والموحدين، فما كان منه إلا أن بادر برفع الحصار عن مرسية وسار إلى إشبيلية للقاء أخيه أبي يعقوب، فوصلها في 15 محرم سنة 567هـ/ 1172م، فتلقاه الخليفة بتبريز عظيم، وكان أن وفد معه جماعه من أعيان وفرسان شرقي الأندلس من مرسية وما جاورها راغبين في البيعة والتوبة، فأنعم عليهم الخليفة بمال كثير وكسوة

(112): قيجاطة: وتكتب كذلك قيشاطة، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع إلى الشمال الشرقي منها، بينها وبين شوذر 12 ميلًا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص488؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، جـ2، ص923.

(113): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص403؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص112.

(114): الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص110.

(115): عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص50.

(116): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص112-113؛ أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص133-134.

(117): ألش: مدينة بالأندلس، تقع ضمن كورة تدمير، تبعد عن مدينة أريولة 15 ميلًا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص30.

(118): بسطة: مدينة بالأندلس من كورة جيان، تقع بالقرب من وادي آش. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص113.

(119): المرية: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة، وهي أحد أهم موانئ الأندلس التجارية. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص119.

(120): جزيرة شقر: مدينة صغيرة من بلاد الأندلس، سميت بذلك لاحاطة نهر شقر بها من جميع جهاتها، قبل مصبه في البحر المتوسط جنوب بلنسية، وهي على مسافة 18 ميلًا من بلنسية. انظر: المراكشي، المعجب، ص265؛ أرسلان، الحلل السندسية، جـ2، ص109-110.

(121): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص405-406؛ البيذق، أخبار المهدي، ص88-89؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص113-114؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ2، ص267-268.

كاملة، فلما سمع أهل شرق الأندلس بما فعل معهم تسابقوا في الوفود عليه معلنين طاعتهم وتوحيدهم[122].

أما ابن مردنيش فقد حاول عبثاً أن يستغل مسير السيد أبي حفص بعسكره إلى إشبيلية، فخرج بقواته متنفساً الصعداء، لاسترداد جزيرة شقر، لكنه سرعان ما اكتشف عجزه عن ذلك، خاصة بعد أن اكتشف دخول أخيه أبي الحجاج يوسف والي بلنسية في طاعة الموحدين، حيث كان توحيد أخيه آخر الضربات الموجعة التي نزلت به من قرابته وأعوانه، فألزمته فراش الموت حتى حضرت منيته في العاشر من رجب سنة 567هـ/ 6 آذار 1172م، وهو في الثامنة والأربعين من عمره[123]، وهذا ما يؤكده ابن عذاري بقوله:" فلما تحقق محمد طاعة أخيه زاد عليه الذبول وفسد عقله بالذهول فاشتدت علته وحضرت منيته"[124].

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن أبا القمر هلال الذي خلف والده ابن مردنيش في حكم شرق الأندلس، بادر فور وفاة أبيه بمكاتبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب معلناً له توحيده وتسليمه مدينة مرسية، فقبل منه الخليفة ذلك، ووجه إليه أخاه السيد أبي حفص بعسكر من الموحدين فتسلم المدينة وتقبل طاعته[125].

وهكذا تم للموحدين بجهود السيد أبي حفص القضاء على أعتى وأقوى الثورات التي واجهت الموحدين في الأندلس، ليتم ولأول مرة في تاريخ الدولة الموحدية دخول شرق الأندلس في طاعتهم بعد فترة صراع مسلح استمرت لقرابة خمس عشرة سنة.

ب- دوره في فتوحات الدولة الموحدية ومجاهدة الممالك النصرانية في الأندلس:

خضعت جميع بلاد المغرب الأوسط والمغرب الأقصى لسيطرة الموحدين منذ فترة مبكرة، وكان ذلك قبل أن يلمع نجم أبناء الخليفة عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية ومنهم السيد أبو حفص، وكان تحرير وضم المغرب الأدنى الذي تأخر إلى سنة 555هـ/ 1160م، هو ما شهده السيد أبو حفص وبعض أخوته، ففي سنة 553م/ 1158م خرج الخليفة عبد المؤمن على رأس جيش كبير بلغ قوامه أكثر من مائة ألف مقاتل وعزم على تحرير مدينة المهدية من سيطرة ملك صقلية الصليبي وفتح سائر بلاد إفريقية، وعندما بلغ الخليفة عبد المؤمن مدينة تلمسان اصطحب معه ابنه السيد أبو حفص الذي كان والياً عليها ليكون معيناً له في غزوته، وعلى ذلك شارك السيد أبو حفص إلى جانب والده في فتح تونس[126] التي رفضت الدخول في الطاعة إلا بعد حصار شديد، كما شارك في تحرير القيروان[127] وسوسة[128] وصفاقس[129] من سيطرة الصقليين سنة 554هـ/ 1159م، ثم وقف إلى جانب والده في

(122): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص408-409، 462؛ المراكشي، المعجب، ص183؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص118.

(123): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص471.

(124): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص122.

(125): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص471.

(126) تونس: مدينة بإفريقية تطل على البحر المتوسط، كانت تسمى ترشيش وسميت تونس أيام الإسلام، تبعد عن قرطاجنة نحو 10 أميال. انظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص120-121.

(127) القيروان: مدينة عظيمة في إفريقية، تبعد عن مدينة عن المهدية 60 ميلًا. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص421.

فرض حصار طويل على مدينة المهدية والذي استمر من رجب 554هـ/ 1159م حتى رضوخ الفرنج للاستسلام في صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة 555هـ/ 1160م[130]. ويذكر ابن صاحب الصلاة أنه حدث خلال هذه الحملة التي أفضت عن فتح بلاد المغرب الأدنى، أن تجرأ الوزير عبد السلام الكومي على اتهام السيد أبي حفص بشرب الخمر أثناء مسير الحملة، مما دفع الخليفة عبد المؤمن لوضع السيد أبي حفص تحت مراقبة شيوخ الموحدين، وعندما تأكد له عدم صحة التهمة التي وجهها له الوزير عبد السلام، عزم على النيل منه دون أن يظهر له ذلك، وما أن وصل الخليفة عبد المؤمن إلى تلمسان عائداً من إفريقية حتى عقد مجلساً للقضاء للاستماع للشكوى والشهود بحق الوزير عبد السلام الذي أساء السيرة في أكثر من أمر وتطاول على أبناء الخليفة وشيوخ الموحدين، وبعد أن تجمعت البيانات والأدلة ضد الوزير عبد السلام، قبض عليه وسجن ثم قتل، وعين السيد أبو حفص وزيراً مكانه[131].

وفي بلاد الأندلس شارك السيد أبو حفص في قيادة العديد من الجيوش الموحدية في غزو الممالك النصرانية، ففي سنة 565هـ/ 1169م، ورداً علي قيام أحد زعماء مملكة قشالة وهو القمط نونيه بشن حملة عسكرية اخترق بها أعماق الأندلس الإسلامية حتى وصل بقواته بحر الزقاق قبالة العدوة، وقد ارتكب أبشع الجرائم من قتل وحرق وسبي[132]، جهز الخليفة الموحدي جيشاً بلغ قوامه عشرون الفاً من المتطوعة والموحدين في مراكش، جعل على قيادته السيد أبا حفص عمر، وعبر الجيش إلى الأندلس في نفس السنة التي غزا فيها نونيه بلاد المسلمين، وقام السيد أبو حفص بغزو طليطلة[133] عاصمة قشتالة، فدوخ أهلها، وعاث في نواحيها وأحوازها الخراب والدمار، ثم قفل عائداً محملاً بالغنائم[134].

كما قام السيد أبو حفص أثناء انشغاله بحرب ابن مردنيش في شرق الأندلس، بتوجيه بعض العمليات العسكرية تجاه مملكة البرتغال في الغرب، بهدف تأمين مدينة بطليوس، التي ما برح العلج جرانده أحد أعوان الملك البرتغالي من التضييق عليها منذ سنة 561هـ/ 1166م ونهب زروعها وثمارها وقطع طرق المواصلات المؤدية إليها، حتى جعل أهلها يعيشون في خوف وظنك[135]، ومن ذلك إرساله أثناء وجوده في إشبيلية سنة 566هـ/ 1170م، أخيه

---

(128) سوسة: مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، تبعد عن مدينة تونس 100 ميل. انظر: الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت بعد 957/ 1555) (1983)؛ وصف إفريقيا، محمد حجي ومحمد الأخضر (مترجمان)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2ج، ط2، ج2، ص83.

(129): صفاقس: مدينة من نواحي إفريقية، تقع على ساحل البحر المتوسط، تبعد عن المهدية 104 كم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص223.

(130): ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص198؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص268-271؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص174؛ النويري، نهاية الأرب، ج24، ص310-313.

(131): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص174-180.

(131): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص397؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص110.

(133): طليطلة: مدينة قديمة تتوسط بلاد بالأندلس، تبعد عن قرطبة 270 كم تقريبًا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص393.

(127): ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص211؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص278.

(128): الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص106.

السيد أبو سعيد عثمان على رأس فرقة من الجنود إليها لتقوية جبهتها الدفاعية ودعم ثبات أهلها بإيصال المؤن إليهم[136]، وبعد أن نجح السيد أبو سعيد في إيصال المؤن لبطليوس لم يشأ أن يعود إلى إشبيلية إلا وقد أمن مدينة بطليوس من جميع جهاتها، وكان الخطر الذي طالما هددها طوال السنين الماضية يأتي من حصن جلمانية[137] الذي اتخذه العلج جرانده مركزاً له، من هنا توجه السيد أبو سعيد بقواته من بطليوس صوب هذا الحصن، وفرض عليه حصاراً شديداً في شهر ربيع الأول من سنة 566هـ/ تشرين ثاني 1170م، ولما يئس جرانده من الصمود وعجز عن المقاومة لاذ بالفرار مما سهل على الموحدين الاستيلاء على الحصن، وفي الحال أمر السيد أبو سعيد بهدمه، فانجلت بذلك غمته، ثم عاد السيد أبو سعيد بجيشه المظفر إلى أخيه السيد أبي حفص في إشبيلية، فعمت البشائر بوصوله[138].

وفي سنة 567هـ/ 1172م، خرج السيد أبو حفص غازياً من قرطبة برفقة أخيه الخليفة أبي يعقوب على رأس جيش جرار زاد قوامه عن مئة ألف مقاتل، ووضعا تحرير مدينة وبذة[139] من سيطرة مملكة قشتالة النصرانية هدفاً لهما[140]، ففتحا في طريقهما مديني حصن بلج[141] وحصن الكرس[142] اللذين كان ابن مردنيش قد أعطاهما للنصارى [143]. ووصلا إلى مدينة وبذة يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة 567هـ/ 1172، فبادروا من حينهم إلى مهاجمة المدينة تحت قرع الطبول وصيحات التكبير، ليشتبكوا مع النصارى المتحصنين في المدينة في معركة سريعة أسفرت عن استيلاء الموحدين على كل ما يحيط بالمدينة خارج أسوارها من أرباض وبساتين وكروم، كما نجحوا في قطع المياه عن المدينة، وفي مساء نفس اليوم جاب السيد أبو حفص أطراف المدينة فارتأى إلى تقسيم جهاتها على الجند بحيث يختص كل عسكر بجهة معينة، وأوكل قيادة كل جهة إلى سيد من الأخوة[144]. غير أن حصانة المدينة ومناعة أسوارها واستبسال أهلها في الدفاع عنها[145]، هذا إلى جانب سقوط الأمطار الغزيرة، وتقدم

(129): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص400.

(137) جلمانية: حصن يقع على نهر وادي يانة، على بعد 25 كم إلى جنوب شرق مدينة بطليوس. انظر: ابن سعيد، علي بن موسى (1964)، المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيف (محقق)، دار المعارف، القاهرة، 2ج، ط4، جـ1، ص360؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص374.

(138) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص401-402؛ النشار، محمد (1995)؛ تأسيس مملكة البرتغال، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، ص183-184؛ al-Ḥajjī , History, part 1, p 241.

(139) وبذة: مدينة من أعمال شنت برية بالأندلس، تقع على نهر وبذة، بينها وبين مدينة قونكة 50 كم. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص359.

(140) المراكشي، المعجب، ص184.

(141) حصن بلج: يقع بين مدينتي بسطة ولورقة. انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص488.

(142) الكرس: حصن من عمل جيان، يقع إلى الشمال الشرقي من أبذة على بعد 124 كيلو متر. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص202؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، جـ2، ص917.

(136) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص472، 487، 490؛ أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلام، ص165-166؛ الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص114-115.

(137): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص492-494.

(138): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص494-497.

قوات نصرانية من قشتالة لنجدة المدينة، حال دون تمكن الموحدين من فتحها[146]، واضطرارهم نهاية الأمر إلى الانسحاب بعد حصار دام قرابة الأسبوعين[147]، وكانت حملة مدينة وبذة؛ الحملة الوحيدة التي يشارك بها السيد أبي حفص ضد الممالك النصرانية وتنتهي بالفشل، ولعل وجود الخليفة على رأس تلك الحملة وتسلمه زمام قيادتها، وإصراره على فتح المدينة عنوة، ورفضة فكرة تسلمها بالأمان، يخلي جانب السيد أبي حفص عن أي مسؤولية للفشل الذي منيت به الحملة.

وفي شهر صفر سنة 570هـ/ أيلول 1174م، وعلى اثر قيام ملك ليون[148] فرناندو الثاني، من نقض معاهدة الصلح مع الموحدين، ومهاجمته بعض الأراضي الإسلامية، محدثاً فيها الخراب والفساد، أمر الخليفة الموحدي أبو يعقوب أخاه السيد أبا حفص بغزو ملك ليون في عقر داره، والانتقام منه بين أهله وأصحابه[149]. فخرج إليه السيد أبو حفص من إشبيلية بجيش كبير من الأجناد الموحدين والعرب وأهل الأندلس، وتوجه مباشرة صوب مقر وقاعدة ملك ليون مدينة ثيوداد ردريجو[150]، تلك المدينة التي تسميها الرواية الإسلامية بمدينة (السبطاط)[151]، فانتسف مزارعها وبساتينها ودمر قراها، وبالرغم من عدم تمكنه من الاستيلاء عليها، إلا انه تمكن من تكبيد الملك فرناندو خسائر فادحة في قواته، كما انه نجح في استرداد مدينة قنطرة السيف[152]، وحصن ناضوش الواقعتين على الحدود مع مملكة ليون[153]، ثم عاد إلى إشبيلية، فاحتفل الخليفة بعودته ومن معه مظفرين، وأطنب الشعراء في مدح الخليفة وأخيه السيد أبو حفص عمر، لما تحقق على أيديهم من نصر، نذكر من ذلك ما قاله الشاعر أبو العباس الجراوي في قصيدة أولها:

جاهدتـم في الله حق جهـــاده ونهضـتم لحمـاية الإيمـان
وتركتم أرض العدى وقلوبهم في غاية الرجفان والخفقان[154]

وكان من نتائج حملة السيد أبو حفص على مملكة ليون، توقف ملك ليون عن تهديد وغزو البلاد الإسلامية لحين

(139): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص498-500.

(147): انفرد كل من المراكشي وابن خلكان بالإشارة إلى أن مدة الحصار استمرت لعدة أشهر، وهم بذلك يخالفان رواية ابن صاحب الصلاة الذي كان يروي أحداثه يومًا بيوم. انظر: المراكشي، المعجب، ص184؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ7، ص135.

(148): ليون: هي إحدى الممالك النصرانية التي نشأت في شمالي شبه الجزيرة الايبيرية في أعقاب افتتاح القوات الإسلامية لشبه الجزيرة، وتقع شمال مدينة سمورة. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص514.

(142): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص131.

(150): عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص92؛ الحجي، عبد الرحمن (1981)؛ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/ 711-1492م)، دار القلم، دمشق، ط2، ص461.

(151): ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص370؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص131، 138.

(152): قنطرة السيف: هي مدينة قديمة تقع على ضفة نهر تاجة، بها قنطرة عظيمة تعد من عجائب الدنيا، وعلى القنطرة حصن عظيم منيع.انظر: ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت 852هـ/ 1448م) (2008)؛ خريدة العجائب وفريدة الغرائب،أنور محمد زناتي (محقق)، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ص36.

(153): ابن خلدون، العبر، جـ6، ص322؛ السلاوي، الاستقصا، جـ1، ص279؛ الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص126.

(154): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص131.

من الوقت، إلا أنها من جهة أخرى كانت إعلاناً لعودة علاقة العداء والصراع بين الموحدين ومملكة ليون، بعد فترة من الصداقة والمهادنة استمرت لقرابة سبع سنوات.

يتضح مما سبق أن السيد أبا حفص وقف سنداً قوياً لأخيه الخليفة أبي يعقوب يوسف في حماية بلاد الأندلس من حركة الاسترداد المسيحي للمدن الإسلامية، سواء من خلال تقديم المشورة إليه، أو توليه مهام تنظيم الجيش وقيادته في حركة الجهاد ضد الممالك النصرانية، وكان للحروب والمعارك التي قادها السيد أبو حفص في الأندلس أبعد الأثر في حماية المدن الإسلامية الأندلسية من خطر الغزو المسيحي، وتكبيد العدو خسائر فادحة في الأموال والأرواح.

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت سيرة السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الموحدي ودوره الإداري والسياسي والعسكري في بلاد المغرب والأندلس، عدداً من الحقائق أهمها:

1. اختلف المؤرخون في صحة نسب السيد أبي حفص بن عبد المؤمن من حيث عروبته أو بربريته، ولعل هذا الاختلاف جاء نتيجة محاولة بعض مؤرخي دولة الموحدين الأوائل والمعاصرين لها مثل ابن القطان والبيذق، إثبات النسب العربي لآل عبد المؤمن بن علي، بل وجعلهم أحياناً من سليل آل البيت، لتأكيد أحقية عبد المؤمن بن علي وذريته من بعده في خلافة المهدي وتولي حكم الموحدين.

2. ولد السيد أبو حفص عمر ونشأ في بيئة دينية عسكرية مليئة بالعمل والتدريب والتهذيب، فقد كان والده الخليفة عبد المؤمن وريث الدعوة الموحدية، وهذا ما جعله يشتد في تربية ابنه أبي حفص وسائر أخوته؛ إذ حرص على تحفيظه القرآن الكريم وحضور الصلوات الخمس في الجماعات منذ صغره، وتعليمه الرمي والعوم وركوب الخيل، وهذا ما أهله ليكون بمستوى المسؤولية لتولي المناصب الإدارية والسياسية وقيادة الجيش في الدولة.

3. لعب السيد أبو حفص عمر دوراً فاعلاً عقب وفاة والده في خلع أخيه الأكبر محمد من الخلافة، والأخذ بالبيعة لأخيه الشقيق أبي يعقوب يوسف، ويبدو أن السيد أبا حفص وجد في أخيه يوسف من الصفات ما أهلته لتولي أمر الموحدين بعد وفاة والده، إذ نجده يقدمه على نفسه ويبذل قصارى جهده لتثبيت أركان ملكه.

4. أمتاز السيد أبو حفص بتملكه شخصية إدارية وسياسية ناجحة، والدليل على ذلك المناصب والمهام العديدة التي أسندت إليه في الدولة مثل ولاية مدينة تلمسان، وتكليفه بمهام الوزارة في نهاية عهد والده ومطلع عهد أخيه أبي يعقوب، والجلوس في بلاط الخليفة لتقديم المشورة، وقيامه بمهام نائب الخليفة في الحضرة مراكش حال غياب الخليفة.

5. شارك السيد أبو حفص في تنظيم وقيادة الجيوش الموحدية، سواء لمواجهة حركات التمرد والثورات الداخلية مثل ثورة سبع بن منغفاد الغماري وثورة أهل جبل تاسررت في نواحي المغرب، وثورة ابن مردنيش في الأندلس، أو لجهاد الممالك النصرانية ووقف حركة الاسترداد المسيحي للمدن الإسلامية في الأندلس، كقيادته الجيش الموحدي بنفسه في غزو مملكة قشتالة سنة 565هـ/1169م،، وغزو مملكة ليون سنة 570هـ/ 1174م.

6. رغم فاعلية السيد أبي حفص عمر في تثبيت أركان الدولة الموحدية ولقرابة خمسة وعشرين سنة متواصلة منذ عام 548هـ/1153م، إلا أنه يلاحظ غيابه عن ساحة الأحداث خلال السنوات الثلاث الأخيرة من عمرة (572-575هـ/ 1176-1180م)، وخاصة على الصعيد العسكري فيما يتعلق بمواجهة حركة الاسترداد المسيحي للمدن

الإسلامية الأندلسية التي اشتدت هجمتها خلال هذه الفترة في البر والبحر والتي نتج عنها سقوط مدينة قونكة[155] بيد القشتاليين سنة 573هـ/1177م، ويمكن تعليل ذلك لحالة الاعتلال التي لازمة السيد أبي حفص منذ اصابته بمرض الطاعون رغم شفائه منه، وتأثره بموت أعز أخوته ورفيق سلاحه في مواجهة نصارى الأندلس بهذا المرض سنة 572هـ/ 1176م وهو أخوه السيد أبو سعيد عثمان والي قرطبة؛ إذ بعد وفاة أبي سعيد أسند الخليفة أبو يعقوب يوسف ولاية قرطبة لأخيه أبي الحسن، وولاية اشبيلية لأخيه الأخر أبي علي الحسن اللذان توكلا مهمة مجاهدة النصارى، في حين اقتصر دور السيد أبي حفص خلال هذه الفترة على قيامه بمهام الحاجب للخليفة في مراكش، وصاحب الرأي والنصح لأخويه أبي الحسن وأبي علي الحسن في الأندلس، وأنه دأب على التنقل بينهما حتى كانت وفاته في قرطبة[156].

The Political, Civilizational, and Military Role of al-Sayyd Abu Ḥafṣ ‘Umar Almohadi in the Maghreb and Andalusia 548-575 A.H / 1153-1180 A.D.

Mohammad Atallah Al-Khliefat*

ABSTRACT

This study examines the history of the Sayyid Abū Ḥafṣ ‘Umar ibn ‘Abd al-Mu’min, one of the most prominent leaders of the Almohad state in its formative stage. He was the son of the first caliph of the Almohad state and spent most of his life serving the state and stabilizing its foundations. This study first examines the details of his life history and then turns to his administrative and political role in the Maghreb and Andalusia, as well as his military role, whether in defeating the revolts against the Almohads in the Maghreb and Andalusia, or leading the jihad against the Christian kingdoms in Andalusia. The Sayyid Abū Ḥafṣ ‘Umar ibn ‘Abd al-Mu’min played an active role in removing his elder brother Muḥammad from the caliphate and pledging his allegiance to his brother Abū Ya‘qūb Yūsuf. He was a successful administrative, political and mililtary figure who held the position of vizier and deputy caliph, and led the Almohad armies in many battles.

Keywords: *Abu Hafs Umar, Almohads, Maghreb, Andalusia*.

(155): قونكة: وتعرف أيضًا بـ" كونكة "، وهي مدينة من أعمال كورة شنتبرية، تقع على بعد 322 كيلومترًا إلى الشمال الغربي من مدينة بلنسية. انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص415؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، جـ2، ص904.

(156): ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص136-137.

* Corresponding author: email, makhliefat2020@yahoo.com, (M. A. Al-Khliefat) Orcid number: https://orcid.org/0000-0002-9369-9783, Ma'an University College, Al-Balqa' Applied University, Jordan.
Received on 9/3/2020 and accepted for publication on 3/9/2020.

REFERENCES

ʿAbd al-Ḥamīd, Saʿd Zaghlūl (ed.) (1985); *Kitāb al-istibṣār fī ʿajāʾib al-amṣār*. Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfīyah Āfāq ʿArabīyah, Baghdād.

Abū al-Faḍl, M. (1996); *Eastern Andalusia in the Islamic Period (515-686H/ 1121-1287CE)*, Dār al-Maʻrifah al-Jāmiʻīyah, Cairo.

ʿAnān, M. (1964); *The Age of the Almoravids and Almohadin in Morocco and Andalusia*, *the 3rd Part of the Book of Islamic State in Andalusia*, Lajnat al-Ta'līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, Cairo, 5 parts, 1st edition.

Arslān, Sh. (1936); *Silk Garments in Andalusian News*, Maṭbaʻat al-Raḥmānīyah, Egypt, 3 parts.

Aschbach, J. (1958); *Geschichte Spaniens und Portugals zur Zeit der Herrschaft der Almorawiden und Almohaden*, Muḥammad ʿAnān (translater), Mu'assasat al-Khānjī Cairo.

al-Bakrī, Abū ʿUbayd ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-ʿAzīz (d. 487/1094) (1968); *Jughrāfiyat al-andalus wa-urūbā min kitāb al-masālik wa-al-mamālik li Abī ʿUbayd al-Bakrī*, ʿAbd al-Raḥmān al-Ḥajjī (ed.), Dār al-Irshād lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

al-Baydhaq, Abū Bakr ibn ʿAlī al-Ṣinhājī (558/1163) (1971); *Akhbār al-Mahdī ibn Tūmart wa-bidāyat dawlat al-muwaḥḥidīn*, ʿAbd al-Wahhāb ibn Manṣūr (ed.), Dār al-Manṣūr lil-Ṭibāʿah wa-al-Warrāqah, al-Ribāṭ. Morocco.

al-Baydhaq, Abū Bakr ibn ʿAlī al-Ṣinhājī (558/1163) (1971); *al-Muqtabas min kitāb al-ansāb fī maʿrifat al-aṣḥāb*, ʿAbd al-Wahhāb ibn Manṣūr (ed.), Dār al-Manṣūr lil-Ṭabāʿah wa-al-Warrāqah, al-Ribāṭ, Morroco.

Būbāyah, ʿAbd al-Qādir (ed.) (2005); *Mafākhir al-barbar*. Dār Abī Raqrāq lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, al-Ribāṭ, Morocco.

al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ʿUthmān (748/1374) (1996); *Siyar aʿlām al-nubalāʾ*, Shuʿayb al-Arna'ūṭ et al. (ed.), Muʾassasat al-Risālah, Beirut, 29 parts.

Ghaḍbān, A. (2007); Teaching in the Almohad Period, *Journal of the Faculty of Arts*, al-Basra, Iraq, pp. 135-156.

al-Ghanāy, M. (1971); *Rise of the Almohad State*, al-Maktabah al-Waṭanīyah, Benghazi, 1st edition.

al-Ghanāy, M. (1981); *Fall of the Almohad State*, Maṭbaʻat al-Thawrah, Benghazi, 2nd edition.

al-Ḥajjī, ʿA. (1981); *Andalusian History from the Islamic Conquest to the Fall of Granada (92-897H/ 711-1492),* Dār al-Qalam.

al-Ḥamawī, Yāqūt Shihāb al-Dīn Abū ʿAbd Allāh al-Baghdādī (626/1228) (1979); *Muʿjam al-buldān*, Dār Ṣādir, Beirut, 5 parts.

Ḥasan, Ḥ. (1980); *Islamic Civilization in Morocco and Andalusia "The Period of the Almoravids and Almohads"*, Maktabat al-Khānjī, 1st edition.

Ḥatāmilah, M. (1999); *Encyclopedia of the Andalusian Lands*, Amman, 2 parts, 1st edition.

al-Ḥimyarī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Munʿim (d. 866/1461) (1984); *al-Rawḍ al-miʿṭār fī khabar al-ʾaqṭār*, Iḥsān ʿAbbās (ed.), Maktabat Lubnān, Beirut.

Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh ibn Abī Bakr al-Quḍāʿī (d. 658/1260) (1985); *al-Ḥulla al-siyarāʾ*, Ḥasan Muʾnis (ed.), Dār al-Maʿārifah, Cairo.

Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh ibn Abī Bakr al-Quḍāʿī (d. 658/1260) (1989); *al-Muʿjam fī aṣḥāb al-qāḍī al-ṣadafī*, Ibrāhīm al-Abyārī (ed.), Dār al-Kitāb al-Miṣrī wa-Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Cairo and Beirut.

Ibn Abī Dīnār, Muḥammad ibn Abī al-Qāsim al-Ruʿaynī al-Qayrawānī (d. 1110/1698) (1286H); *al-Muʾnis fī akhbār Ifrīqiyā wa-Tūnis*, Maṭbaʿat al-Dawlah al-Tūnisīyah, 1st edition.

Ibn Abī Zarʿ, ʿAlī al-Fāsī (d. 741/1341) (1972); *al-Anīs al-muṭrib bi-rawḍ al-qirṭās fī mulūk al-Maghrib wa-tārīkh madīnat Fās*, Dār al-Manṣūr lil-Ṭibāʿah wa-al-Warrāqah, al-Ribāṭ. Morocco.

Ibn ʿAdhārī, Abū al-ʿAbbās Aḥmad ibn Muḥammad al-Marrākishī (d. after 712/1312) (1985); *al-Bayān al-mugharrab fī ʾakhbār al-ʾandalus wa-al-maghrib – qism al-muwaḥḥidīn*,

Muḥammad Ibrāhīm al-Kittānī et al. (eds.), Dār al-Maghrib al-Islāmī wa-Dār al-Thaqāfah, Beirut, Casablanca.

Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān (d. 808/1406) (2000); *al-ʿIbar wa-dīwān al-mubtadaʾ wa-al-khabar fī ʾayām al-ʿarab wa-al-ʿajam wa-al-barbar wa-man ʿāṣarahum min dhawī al-sulṭān al-ʾakbar*, Khalīl Shaḥāda (ed.), Dār al-Fikr, Beirut, 8 parts.

Ibn Khallikān, Abū al-ʿAbbās Shams al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn Abī Bakr (d. 681/1282) (n.d); *Wafīyāt al-ʾaʿyān wa ʾanbāʾ ʾabnāʾ al-zamān*, Iḥsān ʿAbbās (ed.), Dār Ṣādir, Beirut, 8 parts.

Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-Dīn (d. 776/1374) (1956); *Tārikh isbānīyah al-islāmīyah, aw kitāb aʻmāl al-aʿlām fī man būyiʿa qabla al-iḥtilām min mulūk al-islām*, Évariste Lévi-Provençal (ed.), Dār al-Makshūf, Beirut.

Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-Dīn (d. 776/1374) (1974); *al-Iḥāṭah fī akhbār ghirnāṭah*, Muḥammad ʿAnān (ed.), Makabat al-Khānjī, Cairo, 4 vols.

Ibn al-Qāḍī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Abī al-ʿĀfiya al-Miknāsī (d. 1025/1616); *Jadhwat al-iqtibās fī dhikr man ḥalla min al-aʿllām min madīnat Fās*, Dār al-Manṣūr lil-Ṭibāʿah wa al-Warrāqah, al-Ribāṭ. Morocco.

Ibn al-Qaṭṭān, Abū Muḥammad Ḥasan ibn ʿAlī al-Kutāmī (d. 628/1231) (1990); *Naẓm al-jumān li-tartīb mā salaf min ʾakhbār al-zamān*, Maḥmūd ʿAlī Makkī (ed.), Dār al-Maghrib al-Islāmī, Beirut.

Ibn Ṣāḥib al-Ṣalāh, ʿAbd al-Malik ibn Muḥammad al-Bājī (d. 594/ 1198) (1964); *al-Man bi-al-ʾimāmah ʿalā al-mustaḍʿafīn bi-an jaʿalahum Allāh aʾimmah wa-jaʿalahum al-wārithīn*, ʿAbd al-Hādī al-Tāzī (ed.), Dār al-Andalus, Beirut.

Ibn Saʿīd, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Mūsā al-Maghribī (d. 685/1286) (1945); *al-Ghuṣūn al-yāniʿah fī maḥāsin shuʿarāʾ al-miʾah al-sābiʿah*, Ibrāhīm al-Ibyārī (ed.), Dār al-Maʿārif, Cairo.

Ibn Saʿīd, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Mūsā (d. 685/1286) (1964); *al-Maghrib fī ḥulā al-maghrib*, Shawqī Ḍayf (ed.), Dār al-Maʿārif, Cairo.

Ibn al-Wardī, Sirāj al-Dīn Abū Ḥafṣ ʿUmar (d. 852/1448) (2008); *Kharīdat al-ʿajāʾib wa- farīdat al-gharāʾib*, Anwar Muḥammad Zanātī (ed.), Maktabat al-Thaqāfah al-Islāmīyah, Cairo.

al-Idrīsī, ʿAbd Allah ibn Muḥammad al-Ḥusaynī (d. 560/1164) (1863); *al-Maghrib wa- arḍ al-sūdān wa-miṣr wa-al-andalus, maʾkhūdh min kitāb nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-āfāq*, Brill, Leiden.

ʿIzāwī, A. (1995) (ed.); *Nouvelles lettres almohades*, tome 1, Série: Texes et documents, no. 2, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra, Université Ibn Tofail - Kénitra, Maṭbaʻat al-Najāḥ, Casablanca.

Manṣūr, ʿA. (1983); *Important Persons in the Arab Maghrab*, al-Maṭbaʻah al-Malikīyah, al-Rabat.

al-Marrākishī, Abū Muḥammad ʿAbd al-Wāḥid ibn ʿAlī (d. 647/1250) (2006); *al-Muʿjib fī talkhīṣ akhbār al-maghrib*, Ṣalāḥ al-Dīn al-Hawwārī (ed.), al-Maktabah al-ʿAṣrīyah, Sidon-Beirut.

Miranda, A. (1965); *Historia política del imperio almohade*, Instituo General Franco de estudios de studios e investigacón hispano-árabe (ed), Editora Marroquí, Tétouan, part 1.

al-Nashār, M. (1995); *The Establishment of the Kingdom of Portugal*, al-ʻAyn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimaʻīyah, Cairo, 1st edition.

al-Nuwayrī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn ʿAbd al-Wahhāb (d. 733/1333) (1983); *Nihāyat al-arab fī funūn al-adab*, Ḥusayn Naṣṣār (ed.), al-Majlis al-ʾAʿlā lil-Thaqāfah, Cairo.

al-Ṣalābī, ʿA. (2005); *History of th Almoravid and Almohad States: Almoravids in North Africa,* Dār al-Maʻrifah, Beirut.

Sālim, al-S. (1985); *About the History and Civilization of Islam in Andalusia*, Mu'assasat al-Shabāb al-Jāmiʻah lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Alexandria.

al-Sallāwī, Abū al-ʿAbbās Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Khālid al-Nāṣirī (d. 1315/1892) (2007); *al-Istiqsā li-akhbār duwal al-maghrib al-aqṣā*, Muḥammad ʿUthmān (ed.), Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Beirut.

al-Sāmirrāʾī, Kh., et al. (n.d); *History of the Arabs and Their Civilization in Andalusia*, Dār al-Kutub lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, University of Mosul.

al-Samlālī, ʿA. (1993); *Information about Important Persons Who Settled in Marrākesh and Aghmāt*, ʿAbd al-Wahhāb ibn Manṣūr (ed.), al-Maṭbāʻah al-Malikīyah, 2nd edition.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān (d. 911/1505) (1979); *Bughyat al-wuʿāh fī ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥāh*, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (ed.), Dār al-Fikr, Beirut.

al-Wazzān, al-Ḥ. (Jean-Léon l'Africain) (d. after 967/1555) (1983); *Description de l'Afrique*, Muḥammad Ḥajjī and Muḥammad al-Akhḍar (translater), Dār al-Gharb al-Islāmī, Beirut, 2 parts, 2nd edition.

al-Yāfiʿī, Abū Moḥammad ʿAbd Allāh ibn Asʿad (d. 768/1367) (1997); *Mirʾāt al-jinān wa ʿibrat al-yaqẓān fī maʿrifat mā yuʿtabar min ḥawādith al-zamān*, Khalīl Manṣūr (ed.), Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Beirut.

Zakkār, S. and Zamāma, ʿA. (eds.) (1979); *al-Ḥulal al-muwashshīyah fī dhikr al-akhbār al-marrākishīyah*. Dār al-Rashād al-Ḥadīthah, Casablanca.

al-Zarkashī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad Ibrāhim ibn Bahādir (d. 794/1392) (1966); *Tārīkh al-dawlatayn al-muwaḥidīyah wa-al-ḥafṣīyah*, Muḥammad Māḍūr (ed.), al-Maktabah al-ʿAtīqah, Tūnis.

Zunaybar, M. (1999); *Morocco in the Middle Ages (State-City-Economy)*, Kulliyat al-Ādāb, Rabat, Maṭbaʻat al-Najāḥ al-Jadīdah, Casablanca, 1st edition.